وما سواها (340)

هل يوجد بحث علمي أصيل؟!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

علّمونا أن ننظر للآخرين ونهتدي بما قدموه , ونتجاهل دورنا ونهمل عقولنا , ونتحرك كالدمى في فضاءات أجنبية , حتى أصبحنا نعتمد على الوارد إلينا , وننكر ما لدينا.

وعندما نتحدث عن البحث العلمي , تجدنا إزاء آليات إستنساخية تبعية صدوية (من الصدى) , فلا نمتلك ما هو أصيل (نابع من جوهر ما فينا) , ويكون ما قدمه غيرنا مقياسنا ونبراسنا.

ويطغى ذلك على جميع العلوم , وفي ميادين العلوم النفسية , التي تتطلب تفاعلا واعيا وحثيثا مع واقعنا , أمعنا بإستحضار نظريات الغير وفرضها على الواقع الذي لا تعرفه.

فهل توجد عندنا بحوث ودراسات علمية نفسية ذات قيمة عملية؟

هذه محاولة إقترابية لمواجهة واقع لا نساهم في تجديده وتطويره!!

علّمونا أن ننظر للآخرين ونهتدي بما قدموه , ونتجاهل دورنا ونهمل عقولنا , ونتحرك كالدمى في فضاءات أجنبية , حتى أصبحنا نعتمد على الوارد إلينا , وننكر ما لدينا

عندما نتحدث عن البحث العلمي , تجدنا إزاء آليات إستنساخية تبعية صدوية (من الصدى) , فلا نمتلك ما هو أصيل (نابع من جوهر ما فينا) , ويكون ما قدمه غيرنا مقياسنا ونبراسنا

هل توجد عندنا بحوث ودراسات علمية نفسية ذات قيمة عملية؟
هذه محاولة إقترابية لمواجهة واقع لا نساهم في تجديده وتطويره!!

أولا: البيئة البحثية الغائبة والتنظير المستطير!!

البيئة البحثية ثقافة سلوكية معرفية إدراكية علمية ذات إرادة إقتدارية للتوصل إلى جواب على سؤال , وفي مجتمعات "ممنوع السؤال" , تنتفي هذه البيئة , ويكون البحث العلمي محض تصور أو سراب.

فالمجتمعات المصبوبة في قوالب متوارثة تحذر عليها السؤال , من الصعب أن تتعلم أساليب البحث العلمي والتفاعل المعرفي المدروس , وتكمن العلة الكبرى في المجتمع الذي يرى أنه يدري ويعرف , ولديه الأجوبة على الأسئلة!!

وهذا الإقتراب الخطير قضى على مناهج البحث العلمي وألغاها من وعي الأمة , فلا يمتلك معظم أبنائها عقلا بحثيا , والتي تبحث تعاني وتُضطهد , وتُبعَد عن سوح الحياة وتقرير مصير الأيام.

فالبيئة البحثية منهاج تربوي يبدأ منذ بدايات تشكيل الوعي أثناء الطفولة , ويتواصل مع نمو الإنسان وبلوغه سن الرشد , وما بعد ذلك.

فالتربية القائمة في مجتمعات البيئة البحثية الفعالة , أن الإنسان ومنذ نعومة أظفاره , يقرن ما يقوم به بكلمة "لماذا" , ويبحث عن جواب يبرر ما يقوم به , ولا يمكن لسلوك أن يكون بدون جواب مرتبط بسؤال , وإلا أصبح الشخص في حالة تستدعي النظر والتقييم.

وهذا واضح في الأطفال الذين أعاينهم , فتجدني أمام عقل متحفز يخاطبك بمنطق يعرف ما يقول , وعنده لكل سؤال جواب وفقا لمنظاره التصوري والبحثي , فهو لا يقوم بالفعل من غير سبب ومنطوق

البيئة البحثية ثقافة سلوكية معرفية إدراكية علمية ذات إرادة إقتدارية للتوصل إلى جواب على سؤال , وفي مجتمعات "ممنوع السؤال" , تنتفي هذه البيئة , ويكون البحث العلمي محض تصور أو سراب.

البيئة البحثية منهاج تربوي يبدأ منذ بدايات تشكيل الوعي أثناء الطفولة , ويتواصل مع نمو

نظري تعلمه أو يسعى لإستكشافه.

وفي عالمنا العربي لا نعلّم أطفالنا أساليب التفكير العلمي وكيفيات البحث والمعرفة الرصينة , بينما في المجتمعات المتقدمة يكون الجوهر الأساسي للتعليم إكساب التلاميذ قدرات البحث العلمي وتزويدهم بآلياته ومهاراته , والأخذ بأيديهم للتوصل إلى التعبيرعن أفكارهم وتطلعاتهم , ولهذا عندهم إشراقات إبتكارية وإختراعية في أعمار مبكرة.

ويبدو البحث العلمي في هذه المجتمعات وكأنه عقيدة الحياة ومنطوقها وقوتها , وطاقتها القادرة على تزويدها بمفردات الصيرورات الكبرى.

ومجتمعاتنا مصبوبة في قوالب "كانَ" , ويصعب التحرر من أصفادها ومعطياتها الإنفعالية , المعطلة للنشاطات العقلية البحثية والفكرية , فلكل سؤال جواب في جعبة "كانَ"!!

بينما المجتمعات المتقدمة منطلقة في آفاق يكون وأكون وسأكون , ولا تفهم مفردات كان , ولا تستوعب عقليات "كان" ومناهجها الإقترابية والسلوكية , وتحسبها نوع من الإضطراب السلوكي والإدراكي والمعرفي.

ترى كيف نؤسس لبيئة بحثية ذات قيمة حضارية وتأثيرية في مسيرة الحاضر والمستقبل؟

سؤال يحتاج لبحث ودراسة , فكل بحث يبدأ بسؤال , فعلينا أن نتعلم كيف نسأل أو نضع السؤال , ونجتهد بالإجابة عليه وفقا لآليات وخطوات البحث العلمي , وستجدنا في معتركات بحثية ذات قدرات تغييرية وتطويرية إيجابية , لأنها ستساهم في صناعة العقل المعاصر المرتكز على أسس تفاعلية إيجابية سليمة , ذات أدلة معرفية وتوضيحية تضعف الطاقات العاطفية السلبية وتهذبها وترشدها , وتمنح العقل قوة السيادة والتقدير.

والعجيب في أمرنا إهمالنا لجواهر التراث ودرره المعرفية , التي أرست دعائم الإنطلاقات الحضارية منذ قرون , وتحقق طمر مخطوطاته في ظلمات المخازن وغياهب المتاحف والمكتبات الكبرى في الدنيا.

ثانيا: يبجّلون الدخيل وينكرون الأصيل!!

تبجيل الدخيل ونكران الأصيل , ظاهرة فاعلة في الواقع العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر , وما تمكنت الأجيال أن تنتصر عليها , فكل قادم من بعيد أفضل مما لدينا , وما نبدعه وننتجه لا يساوي شيئا بالمقارنة بالدخيل , الذي هيمن على وعينا الجمعي , وغرس فينا مشاعر سلبية تجاه ذاتنا وموضوعنا.

وهو إستعمار ناعم , وإستعباد خفي لوجودنا ودورنا الحضاري , يهدف لإخراجنا من دائرة الحياة المعاصرة , بل وحتى الغابرة.

فمهما أبدعنا فأبناء جلدتنا ينظرون إليه بنصف عين , وما يأتيهم من خارج حدود الأمة يهللون له ويطبلون , ويحسبونه ذروة الإبداع والإبتكار , وبموجبه تقاس درجات ومقامات إبداعاتنا.

ونقف متحيرين أمام عجائب الأمور , حيث تترجم كتب لأناس لا قيمة لهم في مجتمعاتهم , ويقدَّمون في مجتمعاتنا على أنهم رموز نادرة ومتميزة في هذا الميدان أو ذاك .

ويساهم في التهويل العدواني على وجودنا العديد من ذوي الأقلام المنكوبين بوعيهم , والمسخرين لتأدية واجبات ترسيخ فكرة أن الإبداع الأجنبي أفضل من العربي!!

وطروحاتهم تخلو من الموضوعية والحيادية وفيها عاطفية عمياء , وإنفعالية صاخبة تصيبهم بأمية

الإنسان وبلوغه سن الرشد , وما بعد ذلك

التربية القائمة في مجتمعات البيئة البحثية الفعالة , أن الإنسان ومنذ نعومة أظفاره , يقرن ما يقوم به بكلمة "لماذا" , ويبحث عن جواب يبرر ما يقوم به , ولا يمكن لسلوك أن يكون بدون جواب مرتبط بسؤال , وإلا أصبح الشخص في حالة تستدعي النظر والتقييم

مجتمعاتنا مصبوبة في قوالب "كانَ" , ويصعب التحرر من أصفادها ومعطياتها الإنفعالية , المعطلة للنشاطات العقلية البحثية والفكرية , فلكل سؤال جواب في جعبة "كانَ"!!

ترى كيف نؤسس لبيئة بحثية ذات قيمة حضارية وتأثيرية في مسيرة الحاضر والمستقبل؟ سؤال يحتاج لبحث ودراسة , فكل بحث يبدأ بسؤال , فعلينا أن نتعلم كيف نسأل أو نضع السؤال , ونجتهد بالإجابة عليه وفقا لآليات وخطوات البحث العلمي

العجيب في أمرنا إهمالنا لجواهر التراث ودرره المعرفية , التي أرست دعائم الإنطلاقات الحضارية منذ قرون , وتحقق طمر مخطوطاته في ظلمات المخازن وغياهب المتاحف والمكتبات الكبرى في الدنيا

تبجيل الدخيل ونكران الأصيل , ظاهرة فاعلة في الواقع العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر , وما تمكنت الأجيال أن تنتصر عليها , فكل قادم من بعيد أفضل مما لدينا , وما نبدعه وننتجه لا يساوي شيئا بالمقارنة بالدخيل , الذي هيمن على وعينا الجمعي , وغرس فينا مشاعر سلبية تجاه ذاتنا

إدراكية فادحة , تمنعهم من إبصار ما يتناولونه من موضوعات ضارة بوجودنا كأمة ذات حضارة فائقة الإمتدادات.

ولو تأملنا أي إنجاز عربي بلغة العرب , فأن النظر إليه سيكون ضعيفا , وكأن الناظرين إليه يصابون بالعمى وقصر النظر , ولا تنفع معهم العدسات الطبية , لأنهم لا يرونه بعيونهم , وإنما يرون ما في رؤوسهم من الأباطيل.

وكأنهم بحاجة لمسطرة يقيسون بها قيمة وأهمية الإنجاز , وعادة ما تكون مسطرتهم الإنجاز الأجنبي مهما كان نوعه , فهو المتقدم دوما , وهذه فرية إنطلت على أجيالٍ وأجيال.

ففي واقعنا ممنوع الثناء على إنجاز عربي , بل المطلوب التقليل من شأنه , فالمقالة العلمية المكتوبة باللغة العربية مستهجنة , والتي تكتب بلغة أخرى ومعتمدة على مصادر أجنبية تكون أكثر رواجا وقبولا من المقالة العربية المعتمدة على مصادر عربية , فمرجعيتنا التي نرتكز عليها أجنبية وحسب.

وهذا السلوك غير متداول في المجتمعات الأخرى , التي تعتمد على قدراتها الذاتية وتستثمر في طاقاتها الوطنية , وتحث على أن يكون الإبداع أصيلا ومن مفردات الواقع الوطني المُعاش.

والذين لا يعرفون هذه الأمة يتوهمون بأنها ضعيفة وغير مساهمة في صناعة الحضارة الإنسانية , وهذه فرية أخرى كبيرة يُراد زرعها في وعي الأجيال المتوافدة , لكي تنكر هويتها وتدوس على مميزاتها ومعالم ذاتها وعلاماتها الحضارية الإنسانية الفارقة.

والعجيب في الأمر أن نشاطات تجهيل الأمة بذاتها ورسالتها تجري بكثافة وسرعة , وينال المروجون لها تسويقا ومحفزات توهمهم بأنهم يقدِّمون ما ينفع الناس , وما يقومون به تدمير للأمة ومحق لشواهد وجودها الأصيل.

وقد تجندت لهذا الهدف قِوى متنوعة , فراحت الأقلام تؤدي دورها للقضاء على وجودنا , المرسوم له بأنه سيزول في بضعة قرون إذا تواصلت الهجمة , وتمادى أبناء الأمة في غفلتهم وأوهامهم.

ويشكو العديد من أنوار الأمة الساعين لتحفيزها وإيقاظها من رقدتها , بأنهم لا ينالون الدعم والتشجيع , بل تتصدى لهم قوى ومنابر وأقلام من بين ظهرانيتهم , لتبخس ما يقومون به من جهود وما يقدمونه من عطاءات.

ولا يوجد أي مشروع مهما كان صغيرا أو كبيرا في ربوع الأمة تميز بالأصالة والتعبير عن جوهرها , إلا وواجهته القوى المعادية لإرادتها , وجندت ضده أبواقها الإعلامية والتخصصية وتحسب أنها ستقضي عليه , لكنه يكون رغم أنف الكائدين , وأقلام المموّلين الساعين إلى حتفهم وهم في غفلتهم يعمهون.

ويبدو أن حال الأمة ليس بجديد , فمنذ أن حصلت المواجهة ما بين الغرب والشرق في الأندلس وحتى اليوم , والمنهج التسقيطي لإرادتها فاعل بين الأجيال , ومؤثر في مسيرتها , وفي زمن التواصل السهل والنشر السريع , فالهجمة بلغت ذروتها وتمادت في طغيانها وشراستها.

ولست معنيا بتفسير الظاهرة , لأنه لن يغير نمطيتها , فهي من أبجديات العدوانية الأساسية على وجودها.

لكن الأمة فيها من الأفذاذ المؤمنين بصيرورتها الأسمى وكينونتها الأنبل , وبأنها تكون وتتحقق رغم العوائق التي تتراكم في طريقها , فهي تحطم المصدات وتقتلع السدود , وتجري كمياه النهر الهادر التيار.

والتأريخ يؤكد أنها تلد نوابغها وأعلامها من رحم أحلك ظروفها ومُقاساتها , ومعظم رموزها إنبثقوا من ذروة مواجهاتها مع مصيرها , فكانت بهم حية معطاءً وكانوا بها أنوارا ساطعة.

وموضوعنا

لو تأملنا أي إنجاز عربي بلغة العرب , فأن النظر إليه سيكون ضعيفا , وكأن الناظرين إليه يصابون بالعمى وقصر النظر , ولا تنفع معهم العدسات الطبية , لأنهم لا يرونه بعيونهم , وإنما يرون ما في رؤوسهم من الأباطيل

في واقعنا ممنوع الثناء على إنجاز عربي , بل المطلوب التقليل من شأنه , فالمقالة العلمية المكتوبة باللغة العربية مستهجنة , والتي تكتب بلغة أخرى ومعتمدة على مصادر أجنبية تكون أكثر رواجا وقبولا من المقالة العربية المعتمدة على مصادر عربية , فمرجعيتنا التي نرتكز عليها أجنبية وحسب

العجيب في الأمر أن نشاطات تجهيل الأمة بذاتها ورسالتها تجري بكثافة وسرعة , وينال المروجون لها تسويقا ومحفزات توهمهم بأنهم يقدِّمون ما ينفع الناس , وما يقومون به تدمير للأمة ومحق لشواهد وجودها الأصيل

لا يوجد أي مشروع مهما كان صغيرا أو كبيرا في ربوع الأمة تميز بالأصالة والتعبير عن جوهرها , إلا وواجهته القوى المعادية لإرادتها , وجندت ضده أبواقها الإعلامية والتخصصية وتحسب أنها ستقضي عليه , لكنه يكون رغم أنف الكائدين , وأقلام المموّلين الساعين إلى حتفهم وهم في غفلتهم يعمهون

لتبقى إرادة العطاء الإبداعي متوقدة , ولتتواصل وبإصرار مطلق , فالأمة تقترب من فجرها الحضاري الأثيل!!

فلتبقى إرادة العطاء الإبداعي متوقدة , ولتتواصل وبإصرار مطلق , فالأمة تقترب من فجرها الحضاري الأثيل!!

وختاما , من المسؤولية اللازمة أن نقدم مَثلا للأجيال الصاعدة عن مهارات البحث العلمي السليم , لأن المجتمعات تتقدم بالجد والإجتهاد البحثي اللازم لتقويم الإعوجاجات الحاصلة في ميادين الحياة , وهي تخوض معترك التحديات المتواكبة.

فهل من قدوة حسنة؟!!

من المسؤولية اللازمة أن نقدم مَثلا للأجيال الصاعدة عن مهارات البحث العلمي السليم , لأن المجتمعات تتقدم بالجد والإجتهاد البحثي اللازم لتقويم الإعوجاجات الحاصلة في ميادين الحياة , وهي تخوض معترك التحديات المتواكبة.
فهل من قدوة حسنة؟!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa340-091122.pdf

قريبا... 01 جانفي 2023

شبكة العلوم النفسية العربية

تحتفل عامها 23 من التأسيس... 20 عاما على الويب

22 عاما من الكدح في حقول علوم وطب النفس(2000 – 2022)

شارك بتسجيل كلمتك في السجل الذهبي السنوي (الاصدار الثالث عشر) لـ"ش.ع.ن" للعام 2023

شارك برأيك من خلال النموذج التالي

http://arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm

او على صفحاتنا للتواصل الاجتماعي

https://www.facebook.com/Arabpsynet

https://www.facebook.com/arabpsyfound/

او على البريد الالكتروني

arabpsynet@gmail.com

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تحتفل عامها 22 من التأسيس و 20على الويب

22 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf